# الفصل الخامس

## أسطورة السامية ...

يعرف **معجم أوكسفورد** الأسطورة بأنها رواية أو إشاعة واسعة الانتشار ، تتعلق بمفاهيم أو معتقدات عن التاريخ القديم لعنصر أو سلالة بشرية ، انحدرت إلينا من غابر الزمان .

وتتحدث الصفحات الأولى من توراة موسى - فى سفر التكوين - منذ نحو ثلاثة آلاف عام حتى اليوم ، عن انحدار إبراهيم أبى الأنبياء من سام بن نوح ، ومن هنا جاء القول بأن الساميين كشعوب انحدرت من سام ، وجاء مصطلح السامية أخيرًا ليعنى ما يتعلق بنسل سام .

* *

● **السامية اختراع حديث :**

يقول سابا تينو موسكاتى ، الأستاذ بجامعة روما فى كتابه « **الساميون فى التاريخ القديم** » : « لقد استخدم لفظ : **الساميين** ، لأول مرة فى أوروبا عام ١٧٨١ ، حين كتب أوجست لودفج شليزر يقول :

من البحر المتوسط إلى نهر الفرات ، ومن وادى الرافدين جنوبًا إلى الجزيرة العربية ، سادت - كما هو معروف جيدًا - لغة واحدة ، وعلى هذا : فالسوريون ، والبابليون ، والعبرانيون ، والعرب ، كانوا شعبًا واحدًا ، ولقد تكلم الفينيقيون أيضًا هذه اللغة التى أسميها **اللغة السامية** .

لا شك أن شليزر أخذ هذا الاسم من الإصحاح العاشر لسفر التكوين الذى يتكلم عن نوح وأبنائه : سام ، وحام ، ويافث . ومن سلالة سام تأتى أشور وأرام وعابر ، وفيهم تذكر التوراة أنهم أسلاف الأشوريين والأراميين والعبرانيين ، ومن هنا جاء لفظ الساميين لهذه الشعوب ، ولفظ السامية للغاتهم » [١] .

---

(١) - Sabatino Moscati : The Semites in Ancient History, P. 15 .

لكن فيليب حتى وآخرون يقولون : « إن التفسير التقليدى والمألوف الذى يذهب إلى أن الساميين قد انحدروا من كبير أبناء نوح - سام - لا تؤيده الأبحاث العلمية الحديثة » (١) .

* *

● **مصادر سفر التكوين :**

يقول سفر التكوين فى أنساب الأقدمين :

« هذا كتاب مواليد آدم . . عاش آدم مئة وثلاثين سنة ، وولد ولدًا . . دعا اسمه شيثًا . . وكانت أيام آدم بعدما ولد شيثًا ثمانى مئة سنة ، وولد بنين وبنات ، فكانت كل أيام آدم التى عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات .

وعاش شيث مئة وخمس سنين وولد أنوش . .

وعاش أنوش تسعين سنة ، وولد قينان . . وعاش قينان سبعين سنة ، وولد مهللئيل . . وعاش مهللئيل خمسًا وستين سنة ، وولد يارد . . وعاش يارد مئة واثنتين سنة ، وولد أخنوخ . . وعاش أخنوخ خمسًا وستين سنة ، وولد متوشالح . . وعاش متوشالح مئة وسبعًا وثمانين سنة ، وولد لامك . . وعاش لامك مائة واثنتين وثمانين سنة ، وولد ابنًا ودعا اسمه نوحًا . . وكان نوح ابن خمس مئة سنة ، وولد نوح ساما وحاما ويافث - تكوين ٥ : ١ - ٣٢ » .

« ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض - تكوين ٧ : ٦ » .

« وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة - تكوين ٩ : ٢٨ » .

« هذه مواليد سام : لما كان سام ابن مئة سنة ولد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين . . وعاش أرفكشاد خمسًا وثلاثين سنة ، وولد شالح . . وعاش شالح ثلاثين سنة ،

---

(١) تاريخ العرب : فيليب حتى وآخرون ، ص ٨ .

وولد عابر . . وعاش عابر أربعًا وثلاثين سنة ، وولد فالج . . وعاش فالج ثلاثين سنة ، وولد رعو . . وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة ، وولد سروج . . وعاش سروج ثلاثين سنة ، وولد ناحور . . وعاش ناحور تسعًا وعشرين سنة ، وولد تارح . . وعاش تارح سبعين سنة ، وولد أبرام ( إبراهيم ) وناحور وهاران - تكوين ١١ : ١٠ - ٢٦ » .

« وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . . إلى أرض كنعان - تكوين ١٢ : ٤ - ٥ » .

*

تلك هى المعلومات التى يذكرها سفر التكوين عن أنساب البشرية منذ خلق آدم حتى مولد إبراهيم وهجرته إلى أرض كنعان ( أرض فلسطين ) ، وهى موضحة فى المخطط المرفق الذى يبين « **عمر البشرية منذ خلق آدم حتى اليوم** » ، حسب هذه التوراة العبرية .

ومنه تعلم أشياء كثيرة عجيبة وغير صحيحة ، مثل القول بأن إبراهيم عاصر جده الأكبر نوحًا لمدة ٦٠ سنة ، وأن نوحًا توفى فى حياته ! . . .

ومنه يستفاد أيضًا أن عمر البشرية فى حدود ٧٠٠٠ سنة ، وهو ما يرفضه العلم الحديث والتاريخ ، فقد عثر علماء الإنسان ( الأنثرلوبولوچى ) على عظام وجماجم بشرية أثبت التحليل بالكربون المشع أنها لبشر عاشوا على هذه الأرض قبل ٧٥٠٠٠٠ سنة ! .

وفى هذا تقول **دائرة المعارف البريطانية** : « **إن التقويم التاريخى لأحداث العهد القديم قد صار ، لاعتبارات كثيرة ، أمرًا غير موثوق منه** ، فقبل قيام المملكة لم تكن الظروف تسمح بعمل تقويم تاريخى يعتمد عليه ، **وفى واقع الأمر فإن تاريخ الأحداث القديمة قد أضيف بعد قرون عديدة من وقوعها ، ودرجة الدقة فيها مظهرية فقط** . . وحتى بعد تكوين المملكة فإن الأخطاء تسربت إلى الأرقام ، بحيث صار الخطأ فى تواريخ الأحداث نحو بضع عشرات من السنين .

# عمر البشرية منذ خلق آدم حتى اليوم

## « حسب التوراة العبرية »

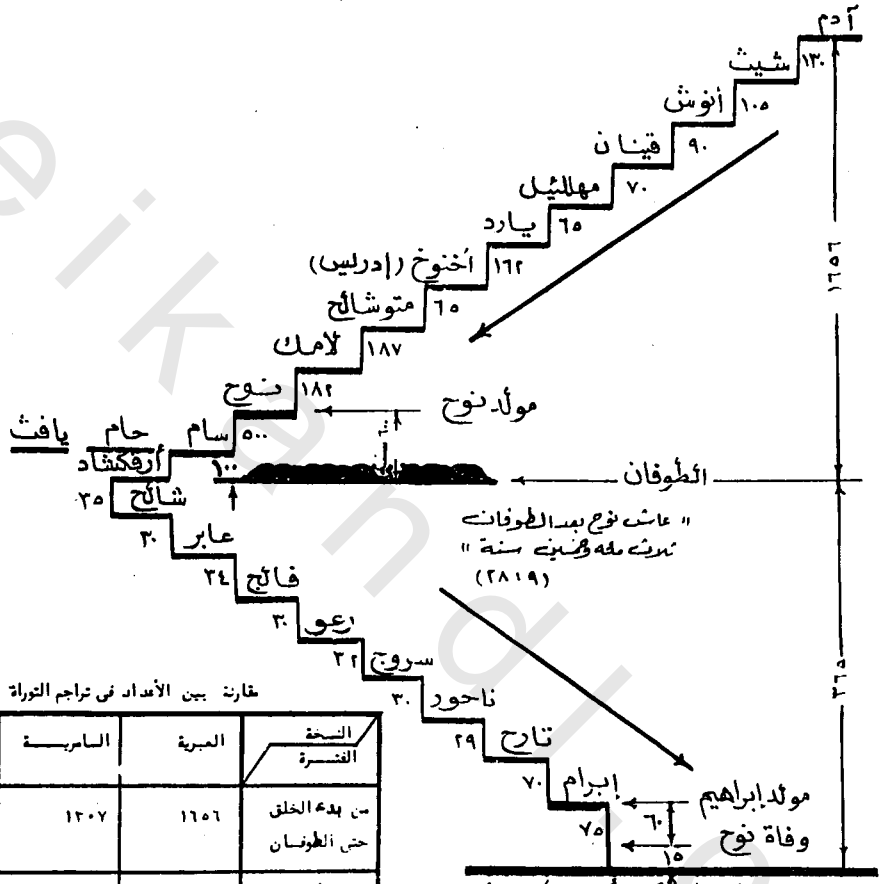


مقارنة بين الأعداد في تراجم التوراة

| النسخة / الفترة | العبرية | السامرية | الاغريقية |
|---|---|---|---|
| من بدء الخلق حتى الطوفان | ١٦٥٦ | ١٣٠٧ | ٢٢٦٢ |
| من الطوفان حتى دعوة ابراهيم | ٣٦٥ | ١٠١٥ | ١١٤٥ |
| التاريخ التقريبي لعمر البشرية | ٦٠٢١ | ٦٣٢٢ | ٧٤٠٧ |

« وذلك باعتبار أن الفترة من ابراهيم حتى المسيح نحو ٢٠٠٠ سنة
ومن المسيح حتى نهاية القرن العشرين نحو ٢٠٠٠ سنة

فالتقويم التاريخى لأحداث الفترة القديمة التى تبدأ من خلق الإنسان حتى خروج بنى إسرائيل من مصر ، يعتمد على ما يعرف باسم روايات الكهنة لأسفار موسى الخمسة ، أن الأرقام هنا فى الغالب - إن لم تكن دائمًا - هى أرقام مصطنعة ، ومن الملاحظات البارزة فى هذا المجال ما نجده فى اختلاف الأرقام بين كل من النسختين السامرية والإغريقية وبين النسخة العبرية ، وذلك بالنسبة للفترة من بدء الخلق حتى مولد إبراهيم ، إذ تنخفض الأرقام فى النسخة السامرية بينما ترتفع فى النسخة الإغريقية ، فالنسخة العبرية تقدر للفترة من بدء الخلق حتى الطوفان ١٦٥٦ سنة ، بينما يبلغ تقديرها فى النسخة السامرية ١٣٠٧ سنة ، وفى النسخة الإغريقية ٢٢٦٢ سنة .

كذلك تقدر النسخة العبرية للفترة من الطوفان حتى دعوة إبراهيم ٣٦٥ سنة ، بينما هى فى النسخة السامرية ١٠١٥ سنة ، وفى النسخة الإغريقية ١١٤٥ سنة .

إن هذه الأرقام ترجع إلى أصول بابلية ولكنها عديمة القيمة التاريخية ، وحتى لو أخذنا بوجهة النظر التى تقدر عام ١٤٩١ ق . م تاريخًا لخروج بنى إسرائيل من مصر - رغم أنه تاريخ مبكر أكثر من المحتمل - **فإن تاريخ بدء الخليقة يرجع إلى عام ٤١٥٧ ق . م ، حسب النسخة العبرية ، وإلى عام ٥٣٢٨ ق . م ، حسب النسخة الإغريقية ...**

**لكن الآثار القديمة للمصريين والبابليين تؤكد ظهور الإنسان على وجه الأرض لفترة طويلة من الزمن قبل أى من التاريخين المذكورين لبدء الخليقة** .. إن الأرقام المذكورة فى الإصحاحين الخامس والحادى عشر من سفر التكوين لا تبين سوى ما كان يتصوره كتبة الأسفار عن تواريخ تلك الأيام القديمة » [١] .

* *

(١) - ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, Vol. 3,p. 510, 1960 .

إن علماء **الترجمة الفرنسية المسكونية** يقررون أن مؤلفى سفر التكوين - وهم كتبة عديدون - قد استقوا معلوماتهم من أساطير الشرق القديمة .

فعند الحديث عن « **مصادره** » نجدهم يقولون : « **لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يردون بداية العالم والبشرية ، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم** ، ولا سيما ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية ، فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبعض النصوص الغنائية والحكمية الخاصة بسومر وبابل وطيبة . . ولكن علم الآثار يدل أيضًا **على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين ، وأضفوا عليه اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم** والتفكير فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصةر بشعبهم . . بديهى أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم أو بأبطال العصور القديمة لا تخلو من الفائدة فى نظر قارىء الكتاب المقدس ، فهناك كثير من الشواهد عن الماضى الأدبى فى الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم عن يد الإله مردوك ، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن الطوفان ، أو الأبراج الشامخة التى شادتها مدن ما بين النهرين إكرامًا لآلهتها ، والتى تذكر برواية برج بابل » [1] .

إن رواية **برج بابل** التى نقرؤها فى **سفر التكوين** ، كفيلة ببيان العلاقة بين سفر التكوين وأساطير الشرق القديمة ، فملخص الرواية أن الأرض كانت « كلها لسانًا واحدًا ولغة واحدة . . فقال بعضهم لبعض : هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه بالسماء » ، فرأى **رب إسرائيل** ذلك وهو فى السماء ، « **فنزل لينظر المدينة والبرج** » ، ثم حدث نفسه قائلاً : « **هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه** » .

---

(١) كتب الشريعة الخمسة : دار المشرق - بيروت .

وخشية من تقدم الإنسان ، رأى الرب أن يبلبل ألسنتهم حتى يفرق جمعهم ، فقال فى نفسه ، ونفذ ما قال : « **هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض** ، فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض ، فكفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمها بابل ، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض - تكوين ١١ : ١ - ٩ » .

« **قاتلهم الله ، أنى يؤفكون** » ، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . . .

ولعله ، لهذا وأمثاله نجد دعوة فى بعض رسائل « **العهد الجديد** » إلى إبطال « **العهد القديم** » بالكلية والتخلص من تأثيره ، فها هو كاتب « **الرسالة إلى العبرانيين** » يقول :

« **فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئًا** - عبرانيين ٧ : ١٨ - ١٩ » .

« **فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان** ، لأنه يقول لهم لائمًا هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمِّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا . .

فإذ قال جديدًا عتَّق الأول ، **وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال** - عبرانيين ٨ : ٧ - ١٣ » .

وأما موقف **بولس** وهجومه على « **الناموس** » فمعروف ، فهو يقول :

« **إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس .. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما** - غلاطية ٢ : ١٦ » .

* *

**الحقائق المؤكدة - إذن - تبين أنه لا يمكن الاعتماد على ما يقوله سفر التكوين من أنساب وأحداث رئيسية تجعل شعبًا أو قبيلة معينة ، تؤكد انتماءها إلى سام بن نوح ...**

نحن - إذن - أمام خطأ شائع يتمثل فى استخدام **مصطلح السامية** ، وما يشتق منه مثل : الساميين ، **ومعاداة السامية** ، وهو المصطلح الذى لم يكن له وجود قبل نحو ٢٠٠ سنة .

ومع ذلك فسوف نستخدم مصطلح الساميين ليعنى - كما هو شائع - أغلب شعوب منطقة الشرق الأوسط .

* *

● **الساميون عرب :**

يقول موسكاتى : « إذا أخذنا بالتعريف الحديث لكلمة الشعب ، لوجدنا أنه مجموعة من الناس قد تتكون من عناصر وأجناس مختلفة ، لكنها تتجانس فيما بينهما ، وتكون شخصية لها خصائصها المميزة بسبب الموقع الجغرافى واللغة والعوامل التاريخية ، والثقافية .

فإذا طبقنا هذا المقياس - للشعب - على الشعوب المتكلمة باللغات السامية ، فإنا نجد أن العامل الأول وهو الموقع الجغرافى قد تحقق فعلاً ، حيث سكنت هذه الشعوب منطقة سامية واحدة هى شبه الجزيرة العربية ومناطق على هيئة أنصاف دوائر ( أهلة ) تحدها من الشمال ( وادى الرافدين وسوريا ) ، ذلك أن مجموعات الشعوب التى سكنت هذه المنطقة موزعة حسب مناطق إقامتها كالآتى :

البابليون والأشوريون فى بلاد الرافدين ، والأراميون والعبريون وغيرهم فى سوريا ، ثم العرب فى شبه الجزيرة العربية .

هذا مع العلم بأن الأحباش فى أثيوبيا يعتبرون نتيجة لإحدى الهجرات إليها من شاطىء الجنوب العربى . .

وبالنسبة للعامل الثانى وهو اللغة ، فرغم تعدد اللهجات السامية إلا أنها جميعًا متقاربة بدرجة كبيرة . . .

وإذا نظرنا إلى الحركة التاريخية لشعوب هذه المنطقة وعلاقاتها ببعضها ، أى إلى العامل الثالث ، نجد أنها تسير فى اتجاه واحد يتكرر على مر العصور ، وهو حركة هجرة من قلب شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة . . .

**وعلى ذلك يمكننا تعريف الساميين بأنهم سكان شبه الجزيرة العربية فى أول عصور التاريخ ، وقد عاشوا فى تجانس لغوى واجتماعى وعنصرى »** (١) .

---

(١) - S. Mascati : The semites in Ancient History, p. 28, 42 .

ويتفق فيليب حتى مع موسكاتى فيما انتهى إليه من أن الرأى الراجح هو أن شبه الجزيرة العربية تعتبر مهد الجنس السامى ، فهو يقول ، بعد استعراض هجرات الساميين من شبه الجزيرة العربية إلى وادى الرافدين وسوريا ، أنه : « بمقارنة تاريخ الهجرات المذكورة آنفًا ودراستها ، بدت لبعض علماء السامية الفكرة التى تقول بأن شبه الجزيرة العربية كانت على مدى أحقاب متعاقبة تبلغ الواحدة منها ألف سنة تقريبًا ، كخزان هائل يزدحم بالسكان امتلأ فلم يجد محيصًا عن إفاضة ما زاد عن سعته .

إن العرب بين الشعبين الباقيين الذين يمثلان الجنس السامى ، قد احتفظوا أكثر من اليهود بالمميزات الطبيعية والخاصيات العقلية لهذا الجنس ، وأما لغتهم ( العربية ) ، فعلى الرغم من أنها أحدث اللغات السامية آدابًا ، فإنها قد احتفظت بخصائص اللسان السامى الأصلى ، بما فى ذلك التصريف ، أكثر مما احتفظت العبرية وأخواتها من اللغات السامية الأخرى ، ومن هنا كانت اللغة العربية أحسن مدخل لدراسة اللغات السامية . . ولقد أصبحت لفظة : سامى ، فى أوروبا وأمريكا ؛ تعنى : يهودى ، قبل أى شىء آخر ، ولعل مصدر ذلك هو كثرة انتشار اليهود فى هاتين القارتين » (١) .

* *

**ولا شك أن القول الشائع باعتبار أن لفظ : الساميين يعنى اليهود ، إنما يدل على جهل فاضح** ، فلو تصورنا أن اليهود ، وهم أصحاب العقيدة اليهودية ، يمثلون فى نفس الوقت شعبًا واحدًا متجانسًا نقيًا - وهو فرض تلفظه الحقائق التاريخية والعلمية - لما عنى ذلك أكثر من اعتبارهم أحد الفروع الضئيلة لذلك الجنس الذى أطلق عليه اسم الجنس السامى .

* *

● **الخلاصة** :

● **الساميون** : يعنى العرب سكان شبه الجزيرة العربية .

---

(١) تاريخ العرب : ص ٨ ، ١٣ .

● **السامية** : مصطلح حديث لم يعرف إلا أخيرًا ، منذ نحو مائتى عام .

● **السامية** : لا تعنى جنسًا ، بل صفة أطلقت على مجموعة من لغات الشرق الأوسط ، سواء ما اندثر منها أو ما بقى مثل : العربية ، والاكدية ، والفينيقية ، والأرامية ، والعبرية ، والحبشية .

● وحيث إن السامية لا تعنى جنسًا ، فإن مصطلح « **معاداة السامية** » كذب وتزوير ، وما هو إلا أسطورة أريد من إطلاقها إرهاب خصوم الإسرائيليين الذين يزعمون أنهم الساميون الوحيدون .

* *

فهل يعى الإسرائيليون ذلك ويكفون عن ترديد الأباطيل عملاً بقول المزمور :

« **حتى متى تحبون الباطل ، وتبتغون الكذب ؟!** » .

* * *



obeikandl.com